

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (حياة الشباب في صدر الإسلام)

الحلقة التاسعة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، نتابع الحديث في هذه الحلقة عن مكانة الشباب في الإيمان وحرصهم عليه .

إن الشاب الذي آمن بالله -جل وعلا-، وآمن برسوله ﷺ وتذوق حلاوة ذلك الإيمان، يحرص دائماً على تحصين إيمانه ، والازدياد منه. وزيادة الإيمان هي ثمرة من ثمرات الإيمان نفسه. كما في قوله سبحانه عن أهل الكهف: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} ^(١) وقوله سبحانه {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَاتَّاهُم تَقْوَاهُمْ} ^(٢).

وإنما تكون زيادة الإيمان بالازدياد من الطاعات بانواعها ، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من البعد عن المعاصي ولو صغرت . ولقد كان شباب صدر الإسلام يعين بعضهم بعض على زيادة الإيمان ، ويغتمون الفرص التي تزيد في إيمانهم ، فهذا معاذ بن جبل -رضي الله عنه- يقول : اجلس بنا نؤمن ساعة ^(٣). يقول ذلك للرجل من إخوانه، فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه ^(٤).

(١) سورة الكهف: جزء من الآية ١٣ .

(٢) سورة محمد: الآية ١٧ .

(٣) ذكره البخاري في صحيحه تعليقا، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس» ١٩/١ . وقال ابن حجر في الفتح (٤٨/١) والتعليق المذكور وصله أحمد وأبو بكر بسند صحيح إلى الأسود بن هلال. قال: قال لي معاذ بن جبل "اجلس نؤمن ساعة".

(٤) فتح الباري ٤٨/١ .

قال ابن حجر ^(٥): لا يحمل على أصل الإيمان لكونه كان مؤمناً وأي مؤمن وإنما يحمل على إرادة أنه يزداد بذكر الله تعالى.

وكان عبدالله بن رواحة -رضي الله عنه- إذا لقي الرجل من أصحابه قال: تعال نؤمن برينا ساعة. فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة، يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ «يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تباهى بها الملائكة» ^(٦).

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، إن سلفكم من شباب صدر الإسلام يحرصون على المجالس التي تزيد في الإيمان ، المجالس العامة بذكر الله سبحانه وتعالى وطاعته ، المجالس البعيدة عن اللهو والعبث وما يغضب الله سبحانه وتعالى . فعلى هذا الأساس يجب أن يختار الشاب جلساءه ومجالسه ، التي تعينه على طاعة الله سبحانه وتعالى وتزيد في إيمانه ، لا أن تنقص من إيمانه ، كما هي الحال في مجالس بعض الشباب هدامهم الله .

معشر الشباب ، ولو نظرنا من جانب آخر إلى مكانة شباب صدر الإسلام في قوة الإيمان نجد شدة خوفهم من الله سبحانه وتعالى ، وما ذاك إلا من معرفتهم بالله سبحانه وتعالى ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف . وما شدة الخوف إلا ثمرة من ثمرات الإيمان بالله -جل وعلا- ومعرفته، فعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: لما نزل قول الله -سبحانه وتعالى- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة -أو قال يوم- فخر فتى مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك فقال: «يا فتى، قل لا إله إلا الله» فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه يا رسول الله، أمن بيننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما سمعتم قوله الله عز وجل: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} ^(٧).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٥/٣) وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، (٢٣١/١). وابن حجر في الإصابة (٣٦٠/٢). وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧٦/١٠) وقال إسناده حسن.

(٧) أخرجه الحاكم في "المستدرک"، كتاب التفسير، (٣٥١/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وعن نافع مولى ابن عمر -رضي الله عنه- قال: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة إلا بكى: {وَأِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} الآية. ثم يقول إن هذا لإحصاء شديد^(٨).

وعن نافع أيضاً قال: كان عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- يقرأ في صلاته فيمر بالآية فيها ذكر النار فيقف عندها فيدعو ويستجير بالله منها^(٩).

وعنه قال: إن كان ابن عمر -رضي الله عنه- إذا قرأ {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} بكى حتى يغلبه البكاء^(١٠).

وبكى أبوهريرة -رضي الله عنه- في مرض موته، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إنني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد سفري وقلة زادي، أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار فلا أدري إلى أيهما يُسَلَّك بي^(١١).

وعن أبي مليكة^(١٢) قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل، قام شطر الليل، يرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب^(١٣).

وعن أبي رجاء^(١٤) قال: رأيت ابن عباس، وأسفل من عينيه مثل الشرك البالي من البكاء^(١٥).

(٨) أبونعيم، حلية الأولياء ٣٠٥/١.

(٩) المرجع نفسه.

(١٠) المرجع السابق. والذهبي في سير أعلام النبلاء، ٣/٢١٤. وابن حجر في "الإصابة" ٢/٢٣٩. وقال: وعند ابن سعد بسند صحيح.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/٣٣٩، وأبونعيم، حلية الأولياء ١/٣٨٣، الذهبي في السير (٢/٦٥٢).

(١٢) عبدالله بن أبي مليكة، ولد في خلافة علي أو قبلها، كان عالماً مفتياً صاحب حديث وإتقان. مات ستة سبع عشرة ومائة وهو من أبناء الثمانين. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٨٨-٩٠).

(١٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٣٢.

لله درهم من قوم ، ما أعظم إيمانهم وما أشد خوفهم من الله سبحانه وتعالى ، هكذا كانت خشيتهم على أنفسهم ، وخوفهم من الحساب ، وهم على ما هم عليه من قوة الإيمان وكثرة العمل الصالح وحرصهم على البعد عن كل ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى .

فياليت شعري لم لا يشعر الكثير من الشباب في هذا الزمان بالخوف من الله سبحانه وتعالى ، وهم على ما هم عليه من ضعف الإيمان وقلة في العمل الصالح ووقوع في ما يغضب الله سبحانه وتعالى ، أكل ذلك ركونا إلى رحمة الله سبحانه وتعالو طمعاً في مغفرته . لا شك أن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة وهو الغفور الرحيم ، وأن رحمته سبقت غضبه ، ولكن إذا كان سبحانه قد أخبر عن رحمته ، فقد أخبر أيضاً عن شديد عقابه ، حين قال { تَبَيَّنْ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } (٥٠) .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، ونعرج على جانب ثالث مما يبين المكانة الإيمانية لشباب صدر الإسلام ، وذلك في جانب سرعة التوبة وتطهير النفس ، فعندما نزل بهم القدم ويقعون في الذنب ، فإنهم سرعان ما يتذكرون ، ويتوبون إلى الله سبحانه وتعالى ، كما وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (١٦) .

فهم بشر يحتمل منهم الذنب والخطيئة ، لكنهم لا يتعمدونها ، وإن وقعوا فيها لا يصرون عليها ، بل يسارعون في التوبة مهما كان الثمن .

ومن أولئك ، ذلك الشاب الذي زنى على عهد رسول الله ﷺ وذلك عندما جاءت امرأة تحمل صبياً ، فقال لها رسول الله ﷺ : «من أبو هذا معك؟» فسكتت . فقال شاب حذوها أنا أبوه يا رسول الله . فأقبل عليها فقال : «من أبو هذا معك؟» فقال الفتى : أنا أبوه

(١٤) عمران بن ملحان التميمي البصري ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي ﷺ

وقيل إنه رأى أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- تلقن القرآن على ابن عباس وهو أسن منه . مات سنة خمس ومائة وقيل

ذلك وله أزيد من مائة وعشرين سنة (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٤-٢٥٧) .

(١٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٥٢/٣ .

(١٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٥ .

يا رسول الله. فنظر رسول الله ﷺ إلى بعض من حوله يسألهم عنه: فقالوا ما علما إلا خيراً. فقال النبي ﷺ: «أَحْصَنْتَ؟» قال: نعم، فأمر به فرجم. قال: ^(١٧) فخرجنا به، فحفرنا له حتى أمكننا، ثم رميناه بالحجارة حتى هداً. فجاء رجل يسأل عن المرجوم، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقلنا هذا جاء يسأل عن الخبيث. فقال رسول الله ﷺ: «هو أطيب عند الله من ريح المسك» ^(١٨).

وإذا كانت حال أولئك كذلك ، فحري بشباب عصرنا وهم أكثر وقوعاً في الذنب أم يبادروا إلى نجاة أنفسهم وخلاص رقابهم من نار وقودها الناس والحجارة ، يبادروا إلى الله بالتوبة النصوح ، استجابة لقوله سبحانه وتعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) } .

أيها المستمعون الكرام . وفي الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٧) الراوي وهو اللجلاج العامري.

(١٨) أخرجه أبوداود، كتاب الحدود، باب رجم ما عز بن مالك، (٤/٥٨٤، ٥٨٥).